

الفصل الخامس

الاسلام ورعاية المسنين

- تمهيد .
- أسس رعاية المسنين في الاسلام .
- دور الأسرة .
- دور الدولة .
- تكريم الإسلام للمسنين .

تمهيد

لقد سبقت تعاليم الإسلام الحنيف الأنظمة الحديثة لرعاية المسنين، إذ يحظى الكبار في مجتمعاتنا الإسلامي غالباً، بمزيد من التقدير والرعاية والاحترام، ويدرك هذا كل من قارن وسط الأسرة الإسلامية، مع غيرها من الأوساط الغربية والشرقية غير المسلمة، حيث نجد أن كبار السن من المسلمين سعداء، إذا قورنوا مع نظرائهم من غير المسلمين، فأولئك يعيشون في غربة ووحدة وشقاء.

ولكن ظهور المتغيرات الاجتماعية، التي تشهدها المجتمعات المعاصرة، أوجدت بعض المظاهر السلبية في حياة الأسرة المسلمة، وفي بيئة المجتمع بشكل عام، مما أدى إلى وجود بعض المظاهر السلبية المؤسفة، من عدم المبالاة والإهمال لبعض المسنين، بل والزج بهم في مأوى العجزة، أو أحد المستشفيات تهرباً من خدمتهم.

فرعاية تلك الفئة من الآباء والأجداد واجب علينا، فهم الذين ضحوا بعمرهم وصحتهم وفكرهم من أجل أن تظل عجلة الحياة سائرة نحو الأمام، وقد أصبح واجب رعايتهم ضرورة تحنمها القيم وتدعمها القوانين.

ورغم ذلك فإن نظم العمل تطرد كل عام ملايين من كبار السن خارج دوائر العمل، دون النظر إلى قدرتهم على العطاء، مما يسبب لهم الشعور بالوحدة والكآبة، والحاجة الملحة إلى الدخل المناسب، بعد كل التضحيات التي قدموها لذويهم وإلى مجتمعاتهم.

حيث إن الشيخوخة لا تعني دائماً الضعف والعجز والمرض ، فكم من رجل كهل في الخمسين، بدت عليه أتعاب الشيخوخة، وكم من رجل في السبعين ظل في نشاطه أقوى من ابن الخمسين، أو الأربعين.

فالفروق الفردية لها دورها في حياة المسنين وعند غيرهم وفي تاريخنا الزاهر ، نجد أن كثيراً من الشيوخ، يقصر نشاط كثير من شباب اليوم عنهم ، وليس أدل على ذلك من مساهمتهم في الجهاد على ما فيه من مشاق وتضحيات ، وفي دأبهم على التأليف ومجالس العلم ، والقوة في العبادات وقد تجاوزوا الثمانين أو المئة من أعمارهم. ففي تاريخ سلفنا الصالح نماذج رائعة من نشاط المسنين.

فالصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري، لم يتخلف عن غزاة للمسلمين إلا وهو في أخرى ولزم الجهاد بعد النبي ﷺ ، إلى أن توفي في غزوة القسطنطينية، سنة ٥٢ هـ.

أسس رعاية المسنين في الإسلام:

لقد كفل الإسلام المسنين، عن طريق رعاية الأسرة للأبوين والجددين ، ورعاية الجيرة للمسنين من الجيران، وهناك التكافل الاجتماعي في الدولة المسلمة ، والاهتمام بالشيوخ صحياً واجتماعياً واقتصادياً.

ففي نظام النفقات الذي أرسى الإسلام دعائمه، لا يمكن أن يعيش المسن في ضيق وحر، ولا سيما إذا كان له أبناء يتكسبون أو في رعاية نظام إسلامي يطبق الشريعة الغراء.

لقد عاش المسنون في مجتمعات إسلامية، في وفرة من العيش، حيث تتعدد مصادر الإنفاق في الشريعة الإسلامية ابتداء برعاية الأسرة وانتهاء برعاية الدولة المسلمة، ممثلة في الحاكم المسلم، ومسؤولية هذه الدولة عن تأمين العمل والحاجات الضرورية، مستفيدة من روافد الإنفاق المتعددة، كالهبات والوصايا المالية، ونظام الوقف وغيره... حسبها كان شائعاً ومطبّقاً في مجتمعاتنا المسلمة.

وفيما يلي أهم الأسس التي من خلالها اهتم الإسلام بالمسنين:

- مسؤولية الأسرة تجاه المسن طبقاً لمنهج الإسلام .
- مسؤولية الدولة تجاه المسن طبقاً لمنهج الإسلام .
- تكريم الإسلام للمسنين .

مسؤولية الأسرة في الإسلام:

يتوجب على الأبناء الإنفاق على الوالدين ، إذا فقدوا القدرة على التكسب ، ولم تكن لهما موارد مالية .

قال تعالى: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥] .

وأصول الإنسان الذين تجب نفقتهم هم الآباء والأمهات والأجداد والجدات وإن علوا .

فإن انعدم الأولاد، ولم تكن لكبار السن مدخرات أو موارد مالية، انتقل واجب الإنفاق إلى الدولة، ممثلة في النظام الحكومي، حسب مبدأ كفالة المحتاجين، وبمقتضى الضمان الاجتماعي المقرر في الإسلام .

مسؤولية الدولة في الإسلام:

إذا فقد المسن الولد والقريب، وحرّم من جو الأسرة العطوف، فمن يكفل هذا المسن بعد أن وهن عظمه، وضعف جسمه، وبات بحاجة ماسة إلى العلاج والغذاء والكساء؟! لا بد إذن من توفير الخدمات الصحية، ومستلزمات المعيشة المناسبة، وتأتي هنا مسؤولية الدولة .

تكريم الإسلام للمسنين:

مرحلة الشيخوخة من المراحل التي أعطاها الإسلام عناية خاصة من الاحترام والتقدير والتكريم، بل وجعل ذلك ضرباً من العبادة المفروضة والتي تثقل الميزان يوم القيامة، وأوصى بالشيخ داخل الأسرة وفي المجتمع، سواء كانوا مسلمين أم لا، بل وكرمهم حتى في الحروب، وهذا ما لم نره في أية أمة من الأمم، كما سنرى ذلك من خلال ما يلي:

أولاً : تكريم ذي الشيبة وتوقيره:

وضع التشريع الإسلامي قواعد رئيسية مهمة في مجال تكريم الإنسان بشكل عام، والشيخ منهم بشكل خاص، بل جعل لهم مكانة مرموقة، ومنزلة عالية، وضمن لهم من خلال تشريعاته احترامهم وتقديرهم، وكفل لهم حياة كريمة، فقال النبي ﷺ فيما رواه أنس بن مالك قال: «ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا» (رواه الترمذى).

إنّ تخصيص الشرع كبار السن بالعناية والرعاية من بين سائر الفئات يعود إلى أنّ الكبر مظنة الإهمال والضجر من الناس، لذلك نراه علاوة على الأمر بتكريمهم لم يغفل أموراً عملية ينبغي مراعاتهم، ومنها:

١- تقديمه لإمامة الناس في الصلاة:

عن ابن مسعود قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «يؤمّ القوم أقرأهم لكتاب الله وأقدمهم قراءة، فإن كانت قراءتهم سواء فليؤمّهم أقدمهم هجرة، فإن كانوا

في الهجرة سواء فليؤمّمهم أكبرهم سنّاً، ولا تؤمّن الرجل في أهله ولا في سلطانه ، ولا تجلس على تكرمته في بيته إلا أن يأذن لك، أو بإذنه» (مسلم).

٢- ابتداؤه بالسلام:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «يسلم الصغير على الكبير ، والمارّ على القاعد، والقليل على الكثير» (الترمذى).

٣- تقديمه في كل الأمور:

عن ابن عباس رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «ابدؤوا بالأكابر فإنّ البركة مع أكابركم».

٤- الإفصاح له في المجلس:

عن أنس رضي الله عنه قال: جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له ، فقال النبي ﷺ «ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا» (الترمذى).

٥- تخفيف الصلاة من أجله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا صلى أحدكم للناس فليخفف ، فإنّ فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء» (البخارى).

ثانياً : رعاية الكبار في الحروب:

لقد أوصى الرسول الكريم ﷺ حتى في الحرب ومع الأعداء فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «... انطلقوا باسم الله وبالله وعلى

ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخا فانيا، ولا طفلا صغيرا، ولا امرأة ولا تغلوا
وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين» (أبي داود).

وعن ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:
«من قتل صغيرا أو كبيرا أو أحرق نخلا أو قطع شجرة مثمرة أو ذبح شاة
لإهابها لم يرجع كفافا» (مسند أحمد).

هذه وصايا النبي ﷺ بالكبار، والتي سار على هديها خلفاءه من بعده، فهذا
خليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول في وصيته لبعث أسامة بن زيد. إلى
الروم بعد وفاة النبي ﷺ: «أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني، لا
تحونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا
كبارا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوا شجرة مثمرة».

ثالثاً: طول العمر مع العمل الصالح أمر محبب في الإسلام:

إن مرحلة الكبر أو العمر المتقدم عند الإنسان ليس شرا أو مذلة في نظر
الإسلام، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم بخيركم؟»
قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «خياركم أطولكم أعمارا وأحسنكم أعمالا»
(مسند أحمد)، وعن عبدالله بن شداد أن رسول الله ﷺ قال: «.. ليس أحد
أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام لتسيحة وتكبيره وتمهيلة» (مسند
أحمد).

وأكد ﷺ على أنّ عمر الإنسان المؤمن إن طال فهو خير له، قال عوف بن مالك: يا طاعون خذني إليك. فقالوا: أليس قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما عمّر المسلم كان خيرا له» قال: بلى... وقوله ﷺ فيما رواه أنس: «ألا أنبئكم بخياركم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «خياركم أطولكم أعمارا إذا سدّدوا». بل إنّ الله سبحانه وتعالى ليطيّل أعمار بعض عباده لما يرى فيهم الخير، فقد روى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنّ لله عبادا يرضنّ بهم عن القتل، ويطيّل أعمارهم في حسن العمل، ويحسن أرزاقهم، ويحييهم في عافية، ويقبض أرواحهم في عافية على الفرش، فيعطيه منازل الشهداء».

رابعاً: التخفيفات الشرعية الواردة في حق المسنين:

أعطى الإسلام للمسنن حقوقا شرعية خاصة، خفف عليه من خلالها الكثير من أحكام العبادات وذلك مراعاة لحالة الضعف والشيخوخة التي يمرّ بها، كما سنرى ذلك فيما يلي:

١- صلاة كبير السن:

لقد اهتم الإسلام بأمور المسنن، وخففت عنه الأحكام في عباداته، وسهّل عليه أداءها بقدر استطاعته، ومن ذلك الركن الثاني من أركان الإسلام وهو الصلاة، حيث نجد أنّه قد خفف عليه بعض أحكامها مراعاة لحالة كبره وما يصاحبها من ضعف ووهن.

فإذا جئنا لمسألة الطهارة في الوضوء والغسل، نرى أنه شرع التيمم لمن كان مريضاً لا يقدر على الحركة، ويشق عليه، ولا يجد من يتاوله الماء.

وأما بالنسبة للصلاة فإنه شرع للضعيف ومن في حكمه من كبير سن وغيره، نالته مشقة لا يستطيع معها القيام، أن يصلي حسب استطاعته امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ...﴾ [التغابن: ١٦] وكما ورد عن عمران بن حصين قال: كانت بي بواسير، فسألت النبي ﷺ عن الصلاة، فقال: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنبك» (البخارى).

وقد شدد النبي ﷺ أيما تشديد على الذي يصلي بالناس أن يخفف عليهم الصلاة رفقا بهم، لوجود المريض وذا الحاجة بينهم، فقد روى أبوهريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء» (البخارى).

فهذه بعض التخفيفات الواردة في صلاة المسن الضعيف، والتي ما شرعت إلا مراعاة لحاله، وتيسيراً له رحمة من الله تعالى له وتخفيفاً عليه.

٢- صوم كبير السن:

تقول القاعدة الفقهية بأن المشقة تجلب التيسير، وهذه القاعدة إن ما هي ترجمة لآيات التيسير التي وردت، كقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا

وَسَعَهَا ﴿البقرة: ٢٨٦﴾ وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ...﴾ [البقرة: ١٨٥].

واستنبط الفقهاء من هذه الآية جواز الفطر للشيخ المسن الكبير إذا وجد مشقة في صومه، أو يتأثر بدنه وتتأثر قوته به، ما يترتب عليه هلاكاً أو أذىً شديداً.

وورد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامَ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] أنه قال: هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا.

٣- حج كبير السن:

أوصى الإسلام المسلمين وخصوصاً القادرين منهم بالحج، والمبادرة إلى أدائها حال الاستطاعة، وقبل الضعف والشيب والعجز، إلا أنه - وهو دين رحمة ويسر - قد وضع الحرج عن الضعفاء في أغلب تشريعاته، والتي منها الحج، وفيما يلي بعض تلك التخفيفات:

الإنابة في الحج:

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج، أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على راحلة، أفأحج عنه؟ قال: «نعم» (البخارى).

وعن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه قال: جاء رجل من خثعم إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الركوب، وأدركته فريضة الله في الحج،

فهل يجزئ أن أحج عنه ؟ قال: «أنت أكبر ولده؟» قال: نعم. قال: «أرأيت لو كان عليه دين أكنت تقضيه؟» قال نعم. قال: «فحج عنه» (النسائي).

التقدم من المزدلفة للرمي والطواف ليلا:

أذن النبي ﷺ لأصحاب الأعدار ومنهم كبار السن التقدم ليلا لرمي الجمرة الكبرى قبل وصول الناس بعد صلاة الفجر أو قبلها ، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ أمر إحدى نساءه أن تنفر من جمع ليلة جمعة فتأتي جمره العقبة فترميها وتصبح في منزلها. وكان عطاء يفعله حتى مات (النسائي).

ووجه الاستدلال هنا إن كانت إجازة النبي ﷺ للنساء والصبيان بالتقدم ورمي الجمره ليلا ، فكبير السن والعجزة أولى لهم ، إذ إن العلة الموجودة في هؤلاء موجودة فيهم ، وهي خوف التأذي من الزحام ، ورفقا بهم وبحالهم.

النيابة في الرمي عن كبير السن:

من التخفيفات التي وردت أيضا في الحج بالنسبة لكبير السن، مباشرة الرمي نيابة عنه، فقد قال الإمام النووي- رحمه الله تعالى: قال الشافعي والأصحاب رحمهم الله : العاجز عن الرمي بنفسه لمرض أو حبس ونحوهما يستنيب من يرمي عنه، سواء كان المرض مرجو الزوال أو غيره...

طوافه وسعيه راكبا أو محمولا:

ومن التخفيفات أيضا جواز أن يطوف كبير السن حول الكعبة ، وأن يسعى بين الصفا والمروة راكبا أو محمولا ، وذلك لحديث أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت:

شكوت إلى رسول الله ﷺ أَنِّي أَشْتَكِي ، فقال: «طوفي من وراء الناس وأنت راكبة» فظفت ورسول الله ﷺ حينئذ يصلي الصبح إلى جنب البيت وهو يقرأ ﴿وَالطُّورِ* وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ (البخارى).

جهاد كبير السن :

قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمُرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١].

جاءت هذه الآية كي ترفع الحرج عن الضعفاء ومن في حكمهم من الشيوخ وكبار السن عن الجهاد بالنفس في سبيل الله تعالى.

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: بين تعالى الأعذار التي لا حرج على من قعد معها عن القتال، فذكر منها ما هو لازم للشخص لا ينفك عنه، وهو الضعف في التركيب الذي لا يستطيع معه الجهاد... فليس على هؤلاء حرج إذا قعدوا ونصحوا في حال قعودهم، ولم يرجفوا بالناس، ولم يثبطوهم في حالهم هذا.

لباس المرأة الكبيرة :

لقد خفف الإسلام عن المرأة المسنة في تكلفها بارتداء الملابس الكثيرة ، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ

جُنَاحٌ أَنْ يَضَعَنَّ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ [النور: ٦٠].

المراد بالقواعد في هذه الآية أي العجائز، ومفردها قاعد، وهنّ التي قعدن عن التزويج لكبر سنّهنّ، كما قال الله تعالى: ﴿اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾، وقد اختصهنّ الله سبحانه وتعالى بالتخفيف من الثياب ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعَنَّ ثِيَابَهُنَّ﴾ أي الثياب التي يكون على ظاهر البدن كالجلباب ونحوه، لا الثياب التي على العورة الخاصة. وإتّما جاز لهنّ ذلك لانصراف الأنفس عنهنّ، إذ لا رغبة للرجال فيهنّ، فأباح الله سبحانه لهنّ ما لم يبيح لغيرهنّ.

وبالتالي فإنّ المرأة الكبيرة يجوز لها أن تتخفف من الجلباب الذي يلبس على الثياب تخفيفاً لها ومراعاة لحال كبرها، على أن لا يكون مرادها من هذه الرخصة هو إظهار الزينة للرجال بأي شكل من الأشكال ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

برنامج لرعاية المسنين

يحتاج المسن الرعاية والاهتمام ومن مجالات الرعاية ما يلي:
الرعاية الدينية:

وهي في المقدمة باعتبارها أهم مجالات الرعاية، وذلك أن المسن أقرب من غيره إلى الرحيل من الحياة الدنيا، والانتقال إلى الآخرة التي لا نجاة فيها بغير الدين، والإسلام هو الدين الخاتم الذي ينفع صاحبه، وينجيه من النار إلى الجنة، حيث يعود المسن سليماً معافى من كل الأمراض والأسقام.

ومن الرعاية الدينية للمسن أن الإسلام خفف عنه في العبادات، قال تعالى:
﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فشرع التيمم بدل الوضوء، والجأوس في الصلاة بدل القيام، وشرع الإطعام بدل الصيام ونحو ذلك.

الرعاية الصحية:

وهي تعتمد على الحالة الصحية للمسن، والإمكانات المتاحة لأسرته وفي بيئته لذا يطلب من الجميع العناية قدر الإمكان بصحة المسن كما يلي:

- ١- الحصول على العناية الصحية المناسبة، ومحاولة مراقبة التطورات المرضية
- حالتهم الصحية بهدف علاج الأمراض مبكراً.
- ٢- الاعتناء بنظافتهم الشخصية والعامة.
- ٣- القيام بأداء التمرينات الرياضية المناسبة يومياً.
- ٤- الاهتمام بتناول الغذاء الصحي والمتوازن.
- ٥- تجنب العادات السيئة مثل: التدخين والإدمان على الكحول والمواد المخدرة.
- ٦- اتباع أساليب الوقاية من الحوادث والإصابات.

الرعاية التعليمية والثقافية:

وذلك من أجل تنمية قدراتهم المتبقية، والاستفادة من خبراتهم العلمية، وبعث الشعور الإيجابي لديهم بأن المجتمع لا يستغني عنهم وعن ثقافتهم. وقد يكون بعض المسنين فاتهم ركب التعليم، فيحتاجون إلى التوجيه والرعاية مع مراعاة ما هم عليه في مثل هذه الفترة.

الرعاية الترفيهية:

وذلك من أجل إدخال السرور إلى نفوسهم، وإبعاد الهموم والأفكار السلبية التي قد تصيب البعض منهم.

الرعاية الإعلامية:

فلابد من تخصيص برامج متنوعة تتعلق بالمسنين، تتناول قضاياهم، وتعالج مشكلاتهم وتحسس المجتمع بهم، وتهدف إلى رفع معنوياتهم، وخاصة أن الإعلام في تطور مستمر.

الرعاية الاجتماعية:

وخاصة لمن فقد الابن والقريب الذي قد يرعاه ويعتني به، إضافة إلى استغلال قدرات بعض المسنين والاستفادة منهم، ومن تجاربهم.

والإسلام جاء بالتراحم والتعاون بين أفراد المجتمع الإسلامي، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

دين الإسلام قرن بين توحيد الله سبحانه وتعالى، وبين بر الوالدين في أكثر من موضع مما يدل على مكانة ذلك، واعتبر العقوق جريمة وعاقبته مخزية أليمة، فشدت التعاليم الإسلامية في هذا الجانب حتى لا يقع التفريط من الأبناء نحو الآباء، فالأصل عندنا معشر المسلمين أن يتنافس الأبناء في خدمة الآباء ورعايتهم، والتقرب إلى الله بذلك من أعظم القربات

وتتحقق الرعاية النفسية والاجتماعية باتباع عدة أشياء هي ما يلي :

١- يجب أن يكون له دور يملأ به حياته ويمنحه الإحساس بقيمته وبحاجة الآخرين إليه.

٢- السماح له بإبداء الرأي.

٣- السماح له بالاشتراك في الأنشطة الترفيهية والرياضية والاجتماعية العائلية أو الوطنية حيث تؤثر إيجابياً على حياة المسن بتغيير نمط الحياة اليومي وتجنبه الملل كما أن الحركة التي تتطلبها تلك الأنشطة تحافظ على حيوية المسن إضافة إلى ذلك سوف تتاح لهم فرصة لقاء الآخرين وتبادل الأفكار والمعلومات والذكريات.

الرعاية التشريعية:

وذلك بتفعيل التشريعات والقوانين التي تعتنى بهذه الفئة ، والتجديد في الأنظمة المتبعة من أجل تحسين الأداء، وإتقان التعامل، وإيصال الحقوق إلى أصحابها. ويحتاج هذا الأمر الاهتمام بالجوانب التالية :

- تقديم كافة الحقوق التي أقرتها الشريعة الإسلامية للمسنين وربطهم بالله تعالى.

- الاستفادة من أوقات المسنين بما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالنفع .
- عدم عزل المسنين وإعطائهم فرصة المساهمة، بتنمية المجتمع .
- تأمين وسائل الترفيه ضمن الامكانيات وفي حدود الشريعة .

- إيجاد برامج تنمّي مهارات المسنين وتعمل على التخفيف من حالاتهم النفسية، وتشعرهم بانتمائهم إلى المجتمع .
- الإرشاد التربوي والتأهيل المهني للمسن .
- وضع سياسات اجتماعية تخدم المسنين .
- إبراز مبدأ رعاية الوالدين والمسنين في الإعلام والمناهج الدراسية .
- الاعتناء بصحة المسن .
- إيجاد قاعدة معلومات عن المسنين
- تنفيذ دورات تدريبية للأطباء والمرضى والمثقفين والإعلاميين الذين يتعاملون مع هذه المرحلة .
- زيادة الأبحاث والدراسات التي تبرز حاجات المسنين وكيف يمكن إشباعها .

كيف يكون الاهتمام بالمسنين؟

ماهي أهم المشاكل الصحية التي يشكو منها معظم المسنين؟ وكيف يمكن التعامل مع هذه المشاكل؟

- ١- ضعف البصر: يجب مساعدة المسن في تسهيل احتياجاته اللازمة وبالتالي لن نعرضهم للأذى.
- ٢- ضعف السمع: يجب التحدث مع المسن بصوت واضح ومسموع وعرضه على الطبيب المختص إذا احتاج الأمر لذلك.

- ٤- ضعف الذاكرة : يجب اشتراك المسن في المناقشات ، وتكرار الأسئلة عليه حتى يستطيع التركيز كما أن هناك أدوية منشطة للذاكرة تصرف بعد استشارة الطبيب.
- ٥- قلة ساعات النوم ليلاً (الأرق) : يجب تشجيع المسن على ممارسة بعض التمرينات أو النشاطات الخفيفة ومحاولة تقليل عدد ساعات النوم نهاراً.
- ٦- تقرحات الفراش : يجب اتباع النظافة التامة للمسّن، وعدم تركه مبللاً بالبول أو العرق كما يجب تغيير وضع المسن أثناء الجلوس أو النوم بين كل فترة وأخرى ذلك يمنع الإصابة بأي تقرحات أو التهابات.
- ٧- عدم التحكم في الإخراج : يجب تدريب المسن على تنظيم أوقات الذهاب للحمام لقضاء الحاجة كل ٣-٤ ساعات. وفي حالة عدم تجاوب المسن يجب استخدام الحفاضات أو أكياس البول.

أهمية الصحة النفسية للمسنين :

والمقصود بالصحة النفسية هنا هو مدى قدرة المسن على التوافق مع نفسه. ومع المجتمع الذي يعيش فيه. وهذا ما يؤدي إلى التمتع بحياة خالية من الاضطرابات النفسية وأن يرضى عن نفسه. وأن يتقبل ذاته كما يتقبل الآخرين فلا يبدوا منه ما يدل على عدم التوافق الاجتماعي، ويتطلب التقدم في السن التكيف مع التغيرات الجسمية والعقلية التي تصاحب الشيخوخة. وتوقع المزيد من التغيرات في المراحل التالية. وبذلك يشير التوافق مع التقدم في السن إلى ردود فعل الفرد تجاه تداخل التغيرات البيولوجية والنفسية والاجتماعية. كما يشير إلى مدى الرضا عن الحياة وتجنب القلق والاكتئاب النفسى .

وقد تكون التأثيرات النفسية للمشكلات الاقتصادية من الأهمية نفسياً بقدر أهميتها المادية. كما أن هذه المشكلات قد تكون سبباً في إرهاف الشعور بعدم الاستقلال أو فقدان المركز الاجتماعي. والأفراد الذين يحسنون التوافق مع الشيخوخة هم عادة أكثر اقتناعاً بحياتهم .

ومن جهة أخرى فإن التقاليد التي تحترم الشيخوخة وتعطي المسنين حقهم من الاحترام والتبجيل، واستشارتهم في مسائل الحياة المختلفة تساعد علي تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي الضروري لطمأنينة المسن وسعادته .

هذا وقد أوضحت الدراسات أن اتجاه أغلب المسنين نحو العمل والنشاط أفضل من اتجاههم نحو التقاعد والاعتزال، وأن أغلب المسنين يرغبون في العمل ومواصلة النشاط لأطول فترة ممكنة بعد التقاعد والاعتزال، وأن الحاجة للإنجاز تميز النمط الواقعي لهم حتى ولو كان العمل الجديد في مراتب وظيفية أدنى من التي كانوا يشغلونها قبل التقاعد أو أقل أجراً. لأن ذلك يساعدهم علي الإبقاء علي الشعور بوجود هدف خلال تلك المرحلة المتأخرة من العمر. كما أن انشغال المتقاعد بالأنشطة اليدوية والهوايات الإنتاجية كالحزف والزراعة يعتبر بدون شك نوعاً من الرضا والسلوك التوافقي .

تقييم

فيما يلي مجموعة من الأسئلة فعلى كل فرد يعيش في هذه المرحلة الإجابة عليها بجديّة خاصة لعلها تكون المرشد له، لتعديل بعض الأخطاء والسلبيات التي يعيشها ومن ثمّ ينعم بعيش سعيد بعيد عن الاضطرابات والمشكلات.

م	الأسئلة	نعم	لا
١	هل تعرف خصائص ومميزات مرحلة الشيخوخة ؟		
٢	هل تعرف حاجاتك الشخصية ؟		
٣	هل تدعم نفسك دائماً بالمعرفة والمعلومات ؟		
٤	هل تحاول الاستفادة من كل لحظة في حياتك ؟		
٥	هل تعرف الفرق بين المسن السوي والمسن المشكل ؟		
٦	هل تعرف كيف تقى نفسك من المشكلات ؟		
٧	هل تعرف أهم الأمراض في هذه المرحلة ؟		
٨	هل تعرف كيف تقى نفسك من الأمراض ؟		
٩	هل تستطيع تحقيق ذاتك ؟		
١٠	هل تستطيع استغلال وقتك جيداً ؟		
١١	هل تعرف كيف كرم الإسلام كبار السن ؟		
١٢	هل تعيش حياتك العاطفية دون مشكلات ؟		
١٣	هل تقوم بأدور بديلة ونافعة في حياتك ؟		

م	الأسئلة	نعم	لا
١٤	هل تساعد غيرك في المرور من أزمته؟		
١٥	هل تهتم بصحتك الجسمية والنفسية؟		
١٦	هل تحرص على نقل خبرتك للآخرين؟		
١٧	هل تحافظ على زيادة صلتك بالله تعالى؟		

طريقة التصحيح والتقييم:

إذا كانت إجابتك على السؤال بـ (نعم) فتحصل على درجة واحدة، وإذا كانت إجابتك بـ (لا) فلا تحصل على شيء. وإذا حصلت على درجة كلية أكثر من ١٥ درجة (١٥: ١٧) فهذا دليل على أنك شخص تعيش مرحلة الشيخوخة بشكل جيد، فحافظ على مستواك هذا حتى يأتيك اليقين، وإن كان في حياتك خلل ما فسارع بعلاجة فالإسلام يدعونا للعمل والجد لآخر لحظة من العمر، وهذه اللحظة علمها عند الله تعالى وليست بالسن أو بالصحة .

الخاتمة

الشيخوخة مرحلة من مراحل العمر، وحلقة من حلقات التاريخ، وجزء لا يتجزأ من وجود كل مجتمع من المجتمعات الإنسانية. فسنة الله في خلقه، أن يأتي الجيل بعد الجيل؛ على امتداد عمر البشرية المديد، فيقدم الإنسان في حياته التضحيات، وقد يتعرض لمختلف ألوان الفاقة والحاجة، أو فتنة الغنى والثراء، أو آلام المرض والعجز، وخاصة إذا رُدَّ إلى أرذل العمر.

فليس من الوفاء للأجيال السابقة من المسنين، أن يهملوا أو يتركوا فريسة للضعف والحاجة في آخر حياتهم، بعد أن قدموا لأمتهم ما بوسعهم.

فمن الواجب رعايتهم والعناية بهم، عملاً بمبادئ ديننا الحنيف الذي حفظ للمسنين مكانتهم، وقَدَّر ذوي الشيبة في الإسلام، ودعا إلى إكرامهم وحمايتهم. وبالتالي الحياة الإنسانية سلسلة متتابعة من المراحل والخطوات، ولكل مرحلة سماتها وخصائصها، ولكل مرحلة متطلبات وحاجات. وكان هذا الكتاب آخر مرحلة في قطار الأسس النفسية للنمو الانساني.

فنسأل الله العلي العظيم أن يحسن خاتمتنا، ويميتنا على الإسلام والإيمان.

د / سعد رياض

المراجع

- ١- آمال صادق ، وفؤاد أبو حطب: نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٠ .
- ٢- الشركة العربية للنشر الالكتروني ٢٠٠١-٢٠٠٥ .
- ٣- الصندوق الوقفي للتنمية الصحية.
- ٤- شارلز شيفر وهوارد ميلمان: مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها، ترجمة نسيمه داود، ونزيه حمدي، عمان، منشورات الجامعة الأردنية ، ١٩٨٩ .
- ٥- صلاح مخيمر: المدخل إلى الصحة النفسية، ط٢، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩ .
- ٦- عبد المنعم المليجي، وحلمى المليجي: النمو النفسى، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧١ .
- ٧- عادل الأشول: علم النفس من الجنين إلى الشيخوخة، القاهرة، دار الحسام للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٦ .
- ٨- عادل أحمد عيسى: ٢٠٠٤م رعاية المسنين في الإسلام، رسالة ماجستير.
- ٩- كمال دسوقي: النمو التربوى للطفل والمراهقين دروس في علم النفس الارتقائى، القاهرة، دار النهضة العربية ، ١٩٧٩ .
- ١٠- د. سعد رياض: ٢٠٠٥م دليلك لفهم الشخصيات، إقرأ للنشر والتوزيع ، القاهرة .
- ١١- د. سعد رياض: الوصايا العشر للداعية، دار الشروق، المنصورة، ٢٠٠٥ .
- ١٢- د. سعد رياض: الشباب بين الموهبة والإبداع، أقرأ، القاهرة، ٢٠٠٥ .
- ١٣- د. سعد رياض: مشكلات الشباب، أقرأ، القاهرة، ٢٠٠٥ .
- ١٤- محمد بن عبد الله الدويش، تربية الشباب، الأهداف والوسائل، الرياض.

- ١٥- محمد جميل، النمو من الطفل للمراهقة.
- ١٦- محمد نبيل عبد الحميد : ١٩٨٧م العلاقات الأسرية للمسنين وتوافقهم النفسي ، الدار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة.
- ١٧- موقع إسلام أون لاين 29/05/2005 .
- ١٨- ميشيل أرجايل : علم النفس ومشكلات الحياة الاجتماعية ، ترجمة عبد الستار إبراهيم، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، ١٩٨٢ .
- ١٩- فؤاد البهي السيد: الأسس النفسية للنمو الانساني، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٥ .

- 20- Allport,G.pattern and growth in personality, new york , Holt ,Rinehart and winston, 1961.
- 21- Berk , L. Infants , children and adolescents , 2 Fd , Boston , Allyn and Bacon, 1996 .
- 22- Guilford, J.General psychology , new york , D.van Nostrant company ,inc , 1960 .
- 23- Kamphaus, R.& Frick, P. Clinical assessment of child and adolescent, Boston , Allyn and Bacon, 1996.
- 24- Seifert, K. & Hoffnung, R., Child and adolescent development, New York, Houghton mifflin CO, 1997.
- 25- Varma, V.: Troubles of children an adolescents, London , Jessica Kingsle publishers, 1996 .
- 26- www. Ariyadh .com
- 27- www.webmaster@hmc.org.qa
- 28- www.nba39-4htm
- 29- www.ewelcom.com

- 30- www.feedo.net
- 31- www.aljazeera.com
- 32- www.sehaa.com
- 33- www.naseej.com
- 34- www.section.com
- 35- www.arabic.com
- 36- www.islamweb.net
- 37- alblagh.ORG
- 38- Allport, G. pattern and growth in personality, new york, Holt Rinehart and winston, 1961.
- 39- Guilford, J. General psychology, new york, D. van Nostrand company, inc, 1960.
- 40- Almurabbi.com/index.asp.
- 41- Saaid.net/ptv.php.
- 42- www.Chainatoday.com.
- 43- www.sehaa.com.
- 44- www.aljazeera.com.
- 45- www.nesasy.com.
- 46- www.el-eman.com.
- 47- www.womengateway.com.
- 48- www.aljamila.com.
- 49- Allport, G. pattern and growth in personality, new york, Holt, Rinehart and winston, 1961.
- 50- Guilford, J. General psychology, new york, D. van Nostrand company, inc, 1960.
- 51- Almurabbi.com/index.asp
- 52- Saaid.net/ptv.php